

الريف المصري وطرق إصلاحه

لحضرة صاحب السعادة نؤاد أباطه باشا

المدير العام للجمعية الزراعية الملكية

ريف مصر في حالته الحاضرة مظهر من مظاهر التأخر الشائن في أمة ناشئة تريد أن تتبوأ مركزها بين أمم العالم . والقاهرة عاصمة البلاد المصرية ، والاسكندرية ، وبعض المدن الأخرى القليلة ، لا يجلب زخرفها وأنواع الترف والملاهي فيها ذلك البؤس وذلك الشقاء الخيمين على ريف مصر . فتلك المدن أشبه ما تكون بقشرة من ذهب تغطي قطعة صدئة من خيث المعادن .

وقد يعجب الزائر الأجنبي بما في القاهرة من عظمة وروعة ومدنية ، ولكن سرعان ما تزول تلك المرئيات من مخيلته عند ما يتغلغل في الريف ويرى سكنى الفلاح ومعيشة الفلاح .

فالفلاح المصري ضحية قاتعة . هو ضحية الجهل والخرافات التي تأصلت في نفسه منذ أحقاب طويلة ، وهو ضحية الأنانية ، أنانية من يستغلونه دون أن يفكروا في العمل لصالحه ، ومع ذلك فهو صبور منصرف الى عمله يجود ونحن نجني ثمار هذا الاجتهاد وهذا الكد . وهو يشقى لإسعادنا ويتعب لراحتنا . نيجد لننم ونفرح ويكد للهدوء ونمرح ، ونحن عنه غافلون لا نفكر أين ينام هذا المخلوق وكيف يأكل وأى ماء يشرب .

وقد لفت موضوع الريف في المدة الأخيرة نظر المصلحين والباحثين والحكومات ، وأجمع الكل على أنه لا بد من أن تتناوله يد الإصلاح بشتى أنواع التمدين والتهديب فالمسألة كما ترى ليست مسألة رحمة ولا شفقة ، تسوقنا الى الدعوة لإصلاح الريف إصلاحا يبنى حاجزا متينا دون تطرق المبادئ والمذاهب التي يشكو منها معظم الأمم ، تلك المبادئ التي أصبحت خطرا على كيان العمران إن لم تحسن معالجتها .

وقد اختلفت الآراء فيما ينبغي عمله في سبيل إصلاح حالة الفلاح . وعند ما أقول إصلاح حالة الفلاح أقصد إصلاح الريف أيضا ، فاد أحد عشر مليونا من المصريين والمصريات على الأقل يسكنونه ويستغلون بالفلاحة فيه ، وأولئك هم كثرة سكان مصر البالغ عددهم ستة عشر مليونا .

وفي الريف اتركز ثروتنا العقارية من زرع وضرع . وكل مصرى لا تربطه بالريف رابطة القربى ولا يمت لأسرة فيه بصلة لا يمكن أن يكون مصريا صميا . فإذا تكلمنا عن الحياة الريفية فإنما نتكلم عن مصالحنا ، ومصالح أسرتنا ، وثوراتنا ، وإذا عملنا على تحقيق التقدم في الريف فإنما نعمل على تقدم البيئة المصرية في مجموعها .

ويمكن تلخيص العوامل الأساسية للإصلاح فيما يأتى :

- (١) تحسين مسكن الفلاح .
- (٢) تحسين حالته الصحية .
- (٣) تحسين مستواه التعليمى .
- (٤) تحسين مياه الشرب .
- (٥) تحسين حالته المعيشية والاجتماعية والمالية .

وهذه كلها مسائل لا تدعو حالتها في الوقت الحاضر إلى الارتياح ، ولا تزال سبل إصلاحها تتداولها المباحث الحكومية والأهلية . ولا بد لها من تنظيم وسائل الإرشاد الزراعى ، وتوجيه التعليم فى القرى الى ما فيه مصلحة الفلاح ، وكذلك توجيه أعمال الجمعيات التعاونية والمجاسم الزراعية القروية وغيرها من الهيئات بحيث تتمشى مع حاجة الفلاح . وقد نشأ عن النقص فى كل ذلك أن زهد أهل الريف فى ريفهم البديع فهجروه الى المدن والعواصم .

ولقد حال الجمعية الزراعية الملكية ما يتكبده هذا الفلاح من عناء فى عمله لا يعوض بعده براحة فى منزله وفى حياته الخاصة ، مما حمله على ترك الريف الى المدن ، لما يبغده فيها من حياة مسلية تجذبهُ أنوارها و يروقه زخرفها ، فرأت الجمعية أن تأخذ بيده فى هذه الناحية وأن تعمل على إصلاح القرية وتحسينها ، فشيدت عزبة نموذجية بناحية بهتم القريبة من محطة شبرا افتتاحها فى نوفمبر سنة ١٩٣٤ وألحقها بعزبة أخرى روعيت فيها الشروط الصحية مع الاقتصاد فى النفقات ، ليكون فى مقدور الملاك إقامة مثلها . وقامت بعمل ثالث هو إصلاح قرية قديمة بقدر الإمكان وبأقل التكاليف ، فى إحدى القرى المقامة على الأراضى الزراعية التى اشترتها الجمعية فى بهتم .

ولقد قمت أنا ببناء عزبة خاصة لى على أساس هذه النظم فى مركز منيا القمح بمديرية الشرقية . وإنى ألفت النظر إلى ما وصلت إليه من النتائج بعد المباحث الكثيرة وهو أن العامل الأساسى فى سوء حالة الريف إنما هو قلة المال اللازم لإصلاحه .

لذا يجب أن نتوجه فى إصلاحه إلى أقل التكاليف الممكنة ، وقد خرجت من ذلك بالنصح بإقامة الأبنية بالطوب "النى" فالبناء به يوفر خمسة أمداس النفقات .

ومن دواعي سرورى أنى شاهدت بنفسى فى ولايتى كاليفورنيا وأريزونا بأمرىكا فى صيف العام الماضى بيوت الفلاحين وبعض مكاتب وزارة الزراعة نفعها وبعض الفنادق فى المدن، مبنيًا بالطوب "الذى" وقد نجحت هذه الأبنية نجاحًا باهرًا ، خصوصًا فى تطرية الجوفى هاين الولايتين .

وإن وجوه الشبه بين هاين الولايتين وبين مصر لعديده ، فهنا وهناك التشابه فى الصحارى والجبال ، وفى طرق الرى ، وفى زراعة القطن والنخيل ، وفى حرارة الجوف . وقد جاء كل ذلك مصداقًا لوجهة نظرى من سنوات فى تفضيل الطوب "الذى" فى بناء العزب والقرى فى الوجه القبلى ، وفى أكثر من النصف الجنوبى للوجه البحرى ، والفرق كبير جدًا بين تكاليف البناء بهذه الطريقة ، وبين تكاليف البناء بالحجر أو الأسمنت المسلح أو الطوب الأحمر .

ومن رأى أن يبدأ الخط الفاصل بين مباني الطوب الأحمر والطوب الأخضر "الذى" من القنطرة على قنال السويس ما زًا يجنوب بلدة "تلراك" بالشرقية ، "والسبلاوين" بالدقهلية وبحرى محلة روح بالغربية وبحرى إيتاى البارود بالبحيرة إلى أبى المطاير .

وبعد فهذا بيان تفصيل عن القريتين اللتين شيدتهما الجمعية الزراعية فى بهيم .

بنت القرية النموذجية الأولى جميعها بالطوب الأحمر (ضرب السفرة) وعملت سقوفها من الأسمنت المساح ، وجعلت "الأرضية" أعلى من سطح الأرض بمقدار ٣٠ سنتيمترًا .

وارتفاع سقوف المنازل عن الأرض يبلغ أربعة أمتار ، وقد جعلت المنازل متفاوتة السعة فهنا ٢٠ منزلًا مساحة الواحد ٨٠ مترًا مربعًا ويتألف من غرفتين وحوش غير مسقوف وحظيرة يحتفظ فيها الساكن بماشيته . وبكل منزل مرحاض جنى على أصول صحية تناسب البيئة ، وخصصت هذه المنازل لسكنى أسرة تتألف من رجل متزوج وذويه ومنها عشرة منازل أكبر حجمًا من الأولى ، مساحة الواحد منها ١٣٠ مترًا مربعًا ، ويتألف من ثلاث غرف وصالة وبها الملحقات الأخرى ، أى حظيرة الماشية والحوش والمرحاض . وخصصت هذه المنازل العشرة لسكنى أسرة كبيرة تتألف من رجلين متزوجين وذويهما ، بمعنى أنها تضم والدًا وولده متزوجين . وجهزت الغرف بالنوافذ الكافية . وقد بلغت تكاليف المنزل الصغير ١٢٥ جنينًا والمنزل الكبير ١٩٦ جنينًا .

ويتضح من ذلك أن سعة هذه المنازل كافية وافية ، يجد عاملنا الراحة إذا أوى إليها وتجد الشمس والهواء — وهما طبيه الطبيعى — سبيلهما إلى داخلها .

ولم نبن أفرانًا داخل الغرف ، لأننا نفترض أن الغرف المنشأة على هذه الطريقة تكون بفضل إحكام سقوفها ونوافذها وافية من البرد أكثر من الغرف القديمة المقفلة بالأحطاب .

أما الماء فصدره بترار توازية ترفعه منها آلة إلى خزانين أكبرهما يسع ٤٨ مترا مكعبا لتخذية مرافق ساكني العزبة والجامع والحمامات "والدقار" والاسطبلات ومنازل موظفي المزرعة ، والخزان الثاني يسع ١٦ متر مكعباً ويندى الأمكنة العالية والمخصصة لسكنى الموظفين الفنيين الذين يقومون بتجارب الأقسام الفنية وقسم تربية الحيوانات فيشرب الجميع ماء نقيا غير ملوث .

ولاعتبارات اقتصادية لم نستطع إعداد معدات الماء للمنازل العمال ولكن لم نفتنا هذه المسألة الحيوية : وهي وجوب تيسير سبل النظافة والطهارة ، فأنشئت ستة حمامات يستمد الماء منها "بالدش" والحنفية ، وخصصت أربعة منها للرجال واثنان للنساء منعزلان عنها تماما . ويمكن استعمال هذه الحمامات لغسل الملابس أيضا .

ولم ننفل الحالة الاجتماعية لسكان العزبة فخصصت لهم "مضيقة" فسحة تسع نحو ٧٠ شخضا ، يتخذونها ناديا للمسامرة ، كما أنها تكون مكانا فسيحا لليالي التي تقام فيها أفراحهم ومآتمهم .

أما الناحية الدينية فقد أوتيت قسطها من العناية . فأنشئ الجامع وجعلت مساحة صحته ٦٠ مترا مربعا وأعدت به دورة للبناء وميضأة حسب المواصفات الصحية ، وتقام فيه الآن الشعائر الدينية .

كذلك لم نفتنا الناحية الخلقية السليمة ، ناحية التهذيب المعقول ، في حدود البيثة ، التهذيب الذي يرقق من شمائل الرجل ويعلو بتفكيره ولكن لا يخرججه عن بيثته ولا يبد فيه روح التمرد عليها فأنشئت مدرسة تيسر على نظام التعليم الإلزامي ، يربي فيها الأحداث بنين وبنات من أبناء العمال وقد أنشئ بالعزبة دكانان يجرد العمال فيهما الضروريات فلا يتكفون مشقة الانتقال إلى العزبة المجاورة لشراء حاجاتهم . وقد خصصت قطعة من الأرض مساحتها نحو ١٩ قيراطا ينتفع بها قاطنو العزبة فيودعون بها أخطابهم والسياد الذي تخلفه ماشيتهم إلى غير ذلك من المنافع .

وللعزبة دوار مساحته ١٩٨٠ مترا مربعا ، يحتوي على ستة مخازن للحاصلات الزراعية ومؤونة المواشي والآلات الزراعية ، ويتفصل كل مخزن عن الآخر تبعا لتنوع الحاصلات ويشمل الدوار أيضا حظائر ماشية العمل .

وقد بلغت تكاليف إنشاء العزبة مبلغ ١٠٣٥٨ جنينا وهو مبلغ لا طاقة للأفراد بانفاقه ، ولذلك رأت الجمعية إنشاء عزبة نموذجية أخرى في هتيم أيضا تبنى بالفرضين ، قراعى فيها الشروط الصحية مع الاقتصاد في النفقات ليكون في مقدور الملاك إقامة مثلها وهي تبعد عن العزبة الأولى بنحو ٦٠٠ متر .

وتبلغ مساحة العزبة نحو فدان مربع من أرض المزرعة ، وهذه المساحة تشمل المبانى والطرقات . وتتألف المبانى من عشرين مترا ، بنيت من أربعة نماذج مختلفة لتكون بمثابة معرض لبيوت الفلاحين بحيث يمكن لكل مالك أن يختار النموذج الذى يراه موافقا له وحالة المنطقة التى ستقام العزبة فيها وحالته أيضا .

وقد روعى فى وضع هذه العزبة أن تكون على أربعة صفوف تتجه من الشرق الى الغرب ، وربيت الصفوف بحيث انقسم الصف الأول الى كتلتين يفصل بينهما شارع عرضه ستة أمتار ، وجعلت كل كتلة منهما مكونة من أربعة منازل متلاصقة ، زيادة فى الاقتصاد ، وواجهة كل منزلين مضادة للآخرين . أما الصف الثانى فمكون من كتلتين أيضا ، تؤلف كل منهما منزلين فى اتجاه واحد ، وكذلك قسم الصفان الثالث والرابع .

وقد جعل بين كل صف وآخر شارع عرضه ستة أمتار . ومن هذا الوصف يظهر بوضوح أن الشمس تاقى أشعتها على جميع المنازل طول النهار ، وقد شيدت المبانى من الطوب الأخضر (اللبن) " ومونة " الطين والرمل ، وعملت أسقفها من عروق الخشب واللوح " والبرقعة " من " ترصيصة " من الطوب و " الأرضية " أعلى من سطح الأرض بمقدار ٣٠ سم وارتفاع الأسقف عن الأرض ٣,٥ من الأمتار .

وجعلت المنازل مختلفة السعة ، فمنها أربعة سعة الواحد منها ١٢٥ مترا مربعا والمنازل الباقية مساحة كل منها ١١٢ مترا مربعا .

ويتألف كل منزل من غرفتين سعة كل منهما فى أغلبها ٣,٥ فى ٤,٥ مترو بكل منزل "فرن" فى الحوش للحياة المعيشية " كالحليز " وغيره ، وبعضها فرن ثابت يمتد فى إحدى الغرفتين للتدفئة شتاء ، وفتحته فى الحوش لمنع الأقدار الناتجة من إبقاده .

ولبعض المنازل بالجهة القبلىة غرفة عالية لاستعمالها صيفا ، ولكل منزل حوش سماوى مساحته ٣٥ مترا مربعا ، وحظيرة مستوففة يحتفظ فيها الساكن بماشيتته ومساحتها ٣,٥ فى ٤,٥ أمتار مربعة ومرحاض ذو خزان عمل بطريقة تجعل نزحه نادرا .

وقد رأينا أن هناك أسرا قليلة لا يحتاج عدد أفرادها الى هذه السعة ، فأقنا بضعة بيوت أصغر مساحة من الأولى ، ولكنها بنفس نظامها وترتيبها ، فأصبحت مساحة البيت منها ٧٥ مترا مربعا بدلا من ١١٢ مترا مربعا . وقد وجدنا أن هذه البيوت توافق كل الموافقة أسرة مكونة من رجل وزوجة وطفلين مثلا . وجهزت الغرف بالتوافذ الكافية .

وبما تقدم نرى أن سعة المنازل وتركيبها ونظامها وافية بالغرض ، خليفة بأن تجعل فلاحنا أرفه حالا وأهدأ بالا .

وقد بلغت تكاليف المنزل الواحد حوالى ٢٥ جنيها كاليان الآتى :

طس جنيه	
٨٠٠ -	حفر الأساسات والخزان .
٢٠٠ ٣	أجرة ضرب ٤٠ ألف طوبة سعر ٨ قروش للآلف .
٢ -	تكاليف مونة وخلط .
٥ -	"مصنعية" ١٢٥ مترا مكعبا من المبانى سعر أربعة قروش للتر .
٢٠٠ ١	ثمان ٢٠٠٠ طوبة من الأحمر البلدى للخزان سعر ٦٠ قرشا .
٨٠٠ ١	تكاليف "دهاكة" جميع المنازل من الداخل والخارج .
١ -	أجرة "مصنعية" للخزان وتكاليف المرحاض .
٨٠٠ ١	تكاليف ٧ شبابيك خشب .
٥٠٠ -	تكاليف باب عمومى .
٥٠٠ ١	تكاليف أربعة أبواب داخلية .
٥٠٠ ٥	تكاليف أسقف خشب تامة .
٧٠٠ -	تكاليف بريقة .
٢٥ ٠٠٠	

هذا بعض ما صنعنا لإصلاح حال الريف ، أو بعض ما ينبغى أن يصنع ، ولا يزال
فلاحنا فى حاجة إلى المزيد من عناية الحكومة والهيئات العامة والشعب ، على السواء .

فؤاد أباطه